

صمود الثورة الفلسطينية وخيانة الانظمة العربية

في السادس من شهر جوان الاخير ، بدأ الاجتياح العسكري الصهيوني للبنان بعد تحضير طويل وترتيبات عسكرية وسياسية عدة . وتم كل هذا بتنسيق وثيق مع الولايات المتحدة الامريكية باعتراف الصهاينة أنفسهم . لقد استخدم العدو في هذا الغزو امكانيات عسكرية ولوجيستية ضخمة وتقنيات عالية وحديثة لتحقيق أهدافه المعلنة والمبطننة . وهكذا ، في ظل السكوت العربي الرسمي المطبق ، تقدمت جيوش الاحتلال لتجتاح الجنوب اللبناني وتتعداه لتحاصر بيروت وتسيطر على ما يقارب ثلثي الارض اللبنانية .

وإذا كان الصمود الفلسطيني - اللبناني الرائع والتصدي الملحني للقوات المشتركة أمام الهجمة الوحشية الشرسة ، قد مكنا المقاومة الفلسطينية من انسحاب مشرف من بيروت ، ومكناها أيضا من توسيع رقعة العطف والمساندة الدوليين لكفاحها العادل ، فان الكيان الصهيوني ، رغم انفضاحه ، حاول ولا يزال يحاول أن يجعل من احتلاله للبنان أمرا واقعا ، بل وأن يصبح طرفا مقرا في رسم معالم السياسة اللبنانية .

ان دخول القوات الصهيونية الى بيروت الغربية ، والمجزرة الوحشية الفاشية التي تمت بتزكية وتدبير من هذه القوات في المخيمات الفلسطينية ، لتوءد ، ان كانت هناك حاجة للتأكيد ، على أن العدو مصمم على المضي قدما في تحقيق

مرايمه العدوانية التي يمكن اجمالها في : عزل لبنان عن الوطن العربي من خلال اقحامه في اتفاقية خيانية مع العدو، الاستيلاء على حيز واسع من الجنوب اللبناني (حتى حدود نهر اللباني) ، فرض واقرار التطبيع الاقتصادي والتجاري . وبالطبع ، فان تطبيق سياسة من هذا النوع يمر حتما عبر تصفية القوى الديمقراطية اللبنانية وفرض واقع فاشي ديكتاتوري في لبنان . وبذلك تحاول اسرائيل أن تعمم كامب ديفيد على كامل المنطقة ، وأن تقنن احتلالها للاراضي العربية القديم منها والجديد .

وإذا كان هذا واقع السياسة العدوانية للكيان الصهيوني بالدعم الكامل للولايات المتحدة . . . وإذا كان الشعب اللبناني بقواه الحية ، والثورة الفلسطينية - قيادة وقواعد - قد عبروا من خلال أطول معركة مع العدو عن استعداد قتالي هائل ومعنويات نضالية عالية وصمود بطولي . . فان الانظمة العربية ما فتئت تعطي الدليل تلو الدليل على تخاذلها المخزى وتواطئها العلني أو الضمني مع مؤامرة التصفية التي تستهدف مصير الثورة الفلسطينية ومصير لبنان وعرويته ووحدته . فسواء قبل الاحداث أو خلالها، وسواء عبر القمة العربية الاخيرة أو بعدها، فان الرد العربي الرسمي لم يتعد حدود التصريحات والكلمات .

الموقف العربي الرسمي والغزو الصهيوني :

جاء الغزو الصهيوني للبنان في ظرف عربي عام يتسم بتكاتف التحالف الرجعي الصهيوني الامبريالي من تحقيق عدة مكاسب، ومن تدشين الخطوات الاولى على طريق تحقيق البعض الاخر . فبعد مرور التطبيع المصري الاسرائيلي الى مرحلة متقدمة بعد "ارجاع سيناء" و"تصفية الخلافات الحدودية بين البلدين" دخل التحالف الصهيوني الامبريالي في مرحلة جديدة لتعميم كامب ديفيد وتثبيت مصالحه الاستراتيجية بالمنطقة العربية . وهكذا كرست الامبريالية الامريكية وجودها العسكري الاستراتيجي وهيمنتها على أكثر من بلد عربي عبر اتفاقيات ثنائية، كما كرست دورها كطرف رئيسي حاسم في "مسلسل السلام" بل وكمظلة وحيدة لهذا المسلسل . في نفس الوقت قطع العدو الصهيوني خطوات في طريق تحقيق هدفه الرامي لتقنين احتلاله الاستيطاني للضفة الغربية وغزة والجولان بموازة مع ضرب رموز المقاومة الفلسطينية في الداخل وتصعيد القمع المنهجي ضد الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة . أما الرجعيات العربية

فقد باشرت بزعامة العربية السعودية سياسة التفتح العلني على النظام الرجعي في مصر تمهيدا لتعريب مسلسل الخيانة وتعميمه . هذه اذن ، وبتركيز شديد ملامح الوضع العربي الذي جاء فيه الاجتياح الصهيوني للبنان . فهو ، كما يتضح ، تسلسل تدريجي لنفس السياسة المتشابكة الاطراف والممحورة حول محور رئيسي : تصفية الثورة الفلسطينية ونكريس الهيمنة الامبريالية الصهيونية الرجعية على الوطن العربي .

لقد كانت الشهور الاخيرة ، رغم فداحة الثمن ، مناسبة جديدة لتعرية الانظمة وفضح وجهها الحقيقي . فطوال تقدم جنوش الاحتلال وسياسة التدمير والخراب والابادة الجهنمية التي باشرتها ، لم تحرك الانظمة العربية ساكنا ، مكتفية بالصمت أو بالتنديد اللفظي مجمدة قواتها وطاقاتها العسكرية والمادية مستمرة في علاقات الود والتواطؤ مع الولايات المتحدة . لكن الانظمة لم تكف فحسب بالصمت ، وبتجميد امكاناتها ، بل طوقت كل المبادرات أو التحركات الجماهيرية ومارست حصارا اعلاميا موازيا للحصار الصهيوني على بيروت . وعلى الرغم من هذا التطويق ، عرفت عدة بلدان عربية عددا من التظاهرات والمبادرات التضامنية الشعبية ، لكنها كانت ضعيفة عما شهدته الدول الاوروبية ، ودون مستلزمات الظرف القومي الخطير ومتطلبات فك الحصار الصهيوني وردع عدوانه الغاشم . فقد أبى الحكام العرب الا أن يتوحوا صفتهم التآمرى وجودهم النواطئي ، بكم أفواه الجماهير وسل طاقاتها . وعلى سبيل الذكر لا الحصر ، حال النظام المغربي (رئيس لجنة القدس ، رئيس القمة العربية . . .) دون قيام نشاط جماهيري فعال سواء بمنع عدد من التجمعات والتظاهرات أو بالحصار الاعلامي على الاحداث نفسها أو بالتنسيق على المبادرات التي انطلقت هنا وهناك . .

قمة فاس : غزو سياسي مكمل للغزو العسكري

وهكذا بعد سكوت وتواطؤ صامت طوال ثلاثة أشهر ، وبصفة جد متأخرة انعقدت القمة العربية بفاس ، بعد أن انتظر الحكام العرب "مرور الزوبعة" على حد تعبير رئيس القمة . لكن هذا المؤتمر بدلا من أن يرسم خطة عربية أدنى لمواجهة الظرف وتوفير الامكانيات العملية والملموسة لذلك ، اكتفى باعادة تسجيل الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، مضيفا اليها اعترافا ضمنا مجانيا بالعدو الصهيوني . مسجلا كذلك تنديده واستنكاره اللفظي لاحداث لبنان ، وكان خطورة الظرف وواقع الاحتلال الملموس لا يتعلق ببلد عربي ، وكان هذا الوضع

لا يهدد المصير العربي ككل . والخطر هو تكريس الموءتمر للمراهنة على الولايات المتحدة وللتفنج العربي على النظام المصري ، نظام سياسة التطبيع مع العدو . فضلا عن اصلاح العلاقات بين هذا النظام وذاك على اساس مواقف تشير كامل الحيلة والحذر .

وإذا كان من حق الثورة الفلسطينية الكامل أن تتكيف سياسيا وديبلوماسيا مع الظرف الجديد وفق أهدافها الاستراتيجية ، وبما يخدم النضال المشروع للشعب الفلسطيني والقضية القومية عامة ، فإن موءتمر القمة كان مطالبا بالحزم والتشدد إزاء الولايات المتحدة والكيان الصهيوني لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي في لبنان بالوسائل الفعالة والتصلب الضروري . فالثورة الفلسطينية برهنت ، قيادة وشعبا ، عن وعي سياسي نضالي كبير ، واستعداد كفاحي بطولي ، ونضج على مواجهة الأحداث ورسم سياستها بكل حرية وخارج طوق الوصاية العربية ما كان مطلوبا من القمة العربية ، إذن ، ليس مجرد التأكيد على حقائق فرضتها الثورة الفلسطينية بنضالها وصمودها على العالم أجمع ، بل كان مطالبا أساسا برسم سياسة عملية ملموسة لدعم القضية الفلسطينية ونضال الشعب اللبناني في مواجهة الاحتلال .

إن القمة العربية إذن ، لم تكن دون مستوى متطلبات الظرف فحسب ، بل الأدهى من ذلك أن تترك الباب مفتوحا أمام الرجعية العربية وباسم الإجماع لمواصلة سياستها التواطئية مع التحالف الامبريالي الصهيوني لتعميم كامب ديفيد وإخضاع الوطن العربي للسيطرة الامبريالية الصهيونية على كافة المستويات . فتثبيت الدور الريادي للولايات المتحدة ، والاعتراف الضمني المجاني بدولة العدو ، وتزكية التطبيع المصري - الإسرائيلي عبر التفتيح على النظام المصري ، وسلوك سياسة التجاهل أمام ما يجري في لبنان .. كل هذا يعطي للقمة العربية وتحديدًا لخلاصاتها السياسية سمة الغزو السياسي المكمل للغزو العسكري الذي شنه العدو في لبنان .

سياسة الانظمة .. ثغرة في النضال القومي

إن الانظمة العربية بذيليتها وتخلفها واقعا ووعيا وآفاقا ، تشكل عائقا أساسيا في وجه المسيرة النضالية للشعب العربي . وتتجلى هذه المسألة على واجهتين مترابطتين ومتكاملتين : واجهة داخلية وواجهة خارجية . فعلى المستوى الداخلي ، يتركز الحرص الاساسي للانظمة العربية على تهميش الجماهير وابعادها

عن القرار والتوجيه . فمساهمة الجماهير لا تتعدى عند هؤلاء الحكام مفهوم دعم السلطة والتصفيق لمقرراتها . أما ابداء الرأي والقدرة على التعبير وعلى التنظيم وممارسة الحقوق الديمقراطية الدنيا ، فهذه تعد جرائم توصل بأصحابها الى غياهب السجون والمعتقلات والتشريد . فسواء تعلق الامر باسبغ مظاهر الحياة اليومية أو بأخطر القضايا الوطنية ، فإن الحكام العرب يتصرفون فيها كما يتصرفون في طاقات المجتمع وثرواته المادية والبشرية حسب مصالحهم الاجتماعية الضيقة وفي دائرة نخبوية تصحح فيها المواطنة نوعا من الامتياز . إن تكبير الطاقات الشعبية وقمع التحركات الجماهيرية بشكل منهجي يشكل مساهمة مباشرة في خدمة المخططات الامبريالية الصهيونية من جانب الحكام . ذلك أنهم بهذه السياسة يحرمون الثورة الفلسطينية من عمق جماهيري عربي واسع ويحرمونها من دعم حقيقي لا يمكن أن توفره لها أطنان الاسلحة التي يكسونها لحماية عروشهم وكراسيهم . فلم يكن غريبا في شيء أن تكون معركة بيروت أطول حرب عربية مع العدو الصهيوني ، فتلاحم الشعبين اللبناني والفلسطيني ، وتحررها من الوصاية العربية الرسمية هو الذي أعطى للثورة الفلسطينية والقوات المشتركة كامل القدرة على الصمود ومواجهة العدو دون مساومات ودون تراجعات مبدئية . أما على المستوى الثاني ، أي المستوى الخارجي ، فإن الانظمة العربية بتبعيتها للراسالية العالمية وبمراهنتها وارتباطها بالولايات المتحدة بهذا الشكل أو ذاك ، تجعل منها تابورا خامسا للعدو الامبريالي الصهيوني داخل الوطن العربي . فتعامل هذه الانظمة مع القضايا القومية ، لا يتعدى حدود محاولة توظيف هذه القضايا في تسكين تناقضاتها الداخلية وضمان استمرار مصالحها الاجتماعية وسيطرتها على رقاب الجماهير . إن هذا التعامل ، يفقد هذه الانظمة من أدنى حد من الاستقلالية في رسم مواقفها ، بل يجعلها خاضعة باستمرار لتوجيه الامبريالية الامريكية ومنفذا أمينًا لمخططاتها ومناوراتها . فما أثبتته معركة بيروت وما تثبتته الأحداث الجارية لهو غياب الحس الوطني الأدنى لدى هذه الانظمة ، وعجزها الهيكلي عن التصدي لابسط مقومات التضامن القومي في وجه عدو حضاري تتعدى أطماعه حدود فلسطين لتشمل الساحة العربية ككل .